دراسات في الأسماء الجغرافية العربية

دكتور محمد محمود محمدين ـ جامعة الرياض

تمهيد :

الاسم عند النحاة واللغويين مادل على مسمى دلالة اشارة ، واشتقاقه من السمة وهي العلامة لانه يصير علامة على المسمى يميزه عن غيره فيعرف بها (١) ، و من السمو لأن الاسم يعلو المسمى باعتبار وضعه عليه (٢)

والمقصود عموما من التسمية تمييز المسمى عن غيره بالاسم الموضوع عليه ، وعلى ذلك فالاسماء الجغرافية هي سمات أو علامات تميز بها الظاهرات الجغرافية . وقد يكون الاسم الجغرافي لفظا مفردا مثل : جدة ، الطائف ، تونس ، طنطا .

وقد يكون أكثر من لفظ مثل : الخليج العربي ، حوطة بني تميم ودراسة الاسماء الجغرافية ميدان شارك فيه علماء من فروع مختلفة ، فلم يقتصر أمر دراسة هذه الاسماء على اللغويين او الجغرافيين فحسب بل أسهم المؤرخون وعلماء الاجتماع بنصيب كبير في هذا الميدان فيما يتعلق بمجال دراساتهم .

وتعد دراسة الاسماء الجغرافية Toponomastics (٣) فرعا من فروع الفلسفة الجغرافية (الجيوسوفي Geosophv) ويهتم علم الاسماء الجغرافية بدراسة أسماء الظاهرات الجغرافية المختلفة ويحاول تفسيرها اذا كانت ذات دلالات جغرافية ، ويصحح نطق هذه الاسماء ويحققها .

ولعلم الاسماء الجغرافية Toponymy فروع ثانوية يختص كل منها بدراسة ظاهرات جغرافية معينة مثل (٤) :

١ – الميكروتوبوينمي Microtoponymy
ويهتم بدراسة أسماء الظاهرات الجغرافية انطبيعية الصغيرة (غابة – تل – سهل – وادي)

٢ – هيدرونيمي Hydronymy
ويهتم بدراسة أسماء المسطحات المائية من أنهار وبحيرات وبحار ·

٣ – أرونيمي Oronymy
ويدرس أسماء الظاهرات الجغرافية المرتفعة مثل الجبال والهضاب ·

لماذا نهتم نحن الجغرافيين بدراسة الاسماء الجغرافية ؟

يولي الجغرافيون دراسة الاسماء الجغرافية أهمية كبيرة لما يحققه ذلك من فوائد في الدراسات الجغرافية نورد بعضا منها :

اولا : تصحيح نطق الاسماء التي يتشابه رسم كتابتها وتختلف أماكنها للتمييز بينها كما هي الحال بالنسبة : لعمان ، وعمان – القرية (٥) (يقال لليمامة بجملتها القرية) والقرية في بغداد ، والسدير بالعراق ·

ثانيا : تحقيق الاسماء الجغرافية ، وعلى سبيل المثال : (الربع الخالي أم الربع الخالي) – (المناخ أم المناخ) ·

ثالثا : الاستفادة من الدلالات الجغرافية للاسماء ، فمثلا وجود كلمة (روضة) يشير الى وجود منطقة يتصرف اليها الماء فيستريض فيها ، كذلك لكلمات مثل برقة وأبرق والجوف ونجد دلالات جغرافية يعيها الجغرافيون ·

رابعا تعد دراسة الاسماء الجغرافية احدى الوسائل التي تعتمد عليها أبحاث الجغرافيا التاريخية في تتبع الهجرات والاتصالات البشرية وما تحمله معها من أسماء ، ونستطيع أن ندرك هذه الحقيقة اذا ماعرفنا أن بالوطن العربي اثنين وعشرين موضعا باسم (واسط) أشهرها وأكثرها ذكرا (واسط العراق) اختطها الحجاج بن يوسف الثقفي بين الكوفة والبصرة ولهذا سميت واسط لانها توسطت بين المدينتين ، ويوجد أربعة وتسعون موضعا باسم (برقة) وعشرة مواضع باسم (الجوف) ·

خامسا : تحقق دراسة الاسماء الجغرافية توحيد طرق كتابة هذه الاسماء بحيث ترسم الاسماء الجغرافية العربية بطريقة واحدة في سائر الدول العربية ولن يتسنى ذلك الا اذا كانت هناك دراسات دقيقة للاسماء الجغرافية وتحقيقات علمية تستند الى أسس مقنعة ·

أصالة الاتجاه الى دراسة الاسماء الجغرافية من الفكر الجغرافي العربي :

ان الاتجاه نحو دراسة الاسماء الجغرافية اتجاه عربي قديم له أصالته ويؤكد ذلك ماحفل به الشعر الجاهلي من أسماء للبقاع والظاهرات الجغرافية المختلفة ·

ودراسة الاسماء الجغرافية هي أحد المحاور الذي اهتمت به الجغرافيا عند العرب ، وبدا ذلك جليا منذ بداية القرن التاسع الميلادي حيث وضع النضر بن شميل (توفي سنة ٢٠٣ هـ ــ ٨١٨ م) كتاب الصفات وهو موسوعة تضمنت جزءا من الجبال والشعاب ويمكن أن يندرج هذا الكتاب تحت (دراسة الاسماء الجغرافية) ·

واهتم الاصمعي (توفي سنة ٢١٦ هـ ٨٣١ م) بوضع ملخصات لغوية عن بلاد العرب ، ويعده ياقوت المصدر الاساسي عن جزيرة العرب وذلك بفضل مصنفه جزيرة العرب ، ويكفي أن نشير الى أن ياقوت الحموي قد ذكره في معجمه حوالي ٣٥٠ مرة ·

وألف هشام الكلبي (المتوفي ٢٠٦ هـ ـ ٨٢٠ م) (٧) من بين مؤلفاته العديدة عشرة كتب في الجغرافيا (٨) منهاكتاب الاقاليم وكتاب البلدان الصغير وكتاب البلدان الكبير ، اشتقاق البلدان وكتاب تسمية من بالحجاز من أحياء العرب ، وكل هذه الكتب تهتم الى حد كبير بدراسة الاسماء الجغرافية ٠

والى جانب هشام الكلبي يبرز لنا في مجال دراسة الاسماء الجغرافيـة (عرام بن الاصيغ) الذي وضع كتابا ٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م بعنوان (كتاب أسماء جبال التهامة ومكانها) وقد اعتمد هذا الكتاب على معرفة عرام الجيدة لتلك المناطق التي كتب عنها ٠

وبعد القرن التاسع الميلادي خبا الاتجاه نحو دراسة الاسماء الجغرافية لمدة قرنين تقريبا حتى أحياه الجغرافي الاندلسي (أبو عبيد الله البكـري) (٩) وكان كتابه (معجم مااستعجم) احياء للمنهج القديم في الاهتمام بالاسماء الجغرافية ، وقد ذكر البكري في مقدمة معجمه :

(هذا كتاب معجم مااستعجم ذكرت فيه ان شاء الله جملة ماورد في الحديث والاخبار والجبال والآثار والمياه والآبار والدارات والحرار منسوبة محددة ومبوبة على حروف المعجم مقيدة ، فانى لما رأيت ذلك قد استعجم على الناس أردت أن أفصح عنه بأن أذكر كل موضع مبين البناء معجم الحروف حتى لايدرك فيه لبس ولا تحريف ٠٠)

ويذكر المستشرق رينو Reinaud (١٠) أنه اذا كان معجم البكـري هو أول ماوصلنا في هذه السلسلة فان هذا بالتاكيد لايعني أنه أول من ولج باب هذا الفن من الادب الجغرافي ، ولكن من المرجح أن يكون أول من استعمل الطريقة الابجدية في هذا الباب ٠٠ ومهما بدت لنا هذه الطريقة سهلة ومطروقة في العصر الحالي فانه يجب ألا يغيب عن الذهن أن أول معجم جغرافي ظهر في أوربا هو معجم أورتليوس Ortelius في القرن السادس عشر الميلادي أي بعد معجم البكري بخمسمائة سنة ٠

وفي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي ظهر (معجم البلدان) لياقوت الحموي (١١) الذي يعتبر أفضل مصنف من نوعه في العصور الوسطى (١٢) ويقع المعجم في ثلاثة آلاف وثمانمائة واربع وتسعين صفحة (١٣) ، وقد استعان بنحو خمسة آلاف من الشواهد الشعرية في ذكر المواضـــع ٠ وترد

الاسماء الجغرافية في معجم ياقوت مرتبة ترتيبا أبجديا ، وكثيرا مايسوق ياقوت اشتقاق بعض التسميات ويحاول تفسيرها على أساس لغوي ·

ولياقوت كتاب آخر هو (المشترك وضعا والمفترق صقعا) عمد فيه الى تجميع الاسماء المتشابهة مع ذكر اختلاف المواقع ، ويقول ياقوت في مقدمة هذا المصنف :

أما بعد فهذه طرفة طريفة وملحة مليحة تشرئب اليها النفوس بالطباع ويشترك في استحسانها أهل الاجماع والنزاع انتحلتها من كتابي الكبير المسمى بمعجم البلدان وانتزعتها من رياض حدايقه الكثيرة الافتنان ، فيما اتفق من أسماء البقاع لفظا وخطا ·· وافترق مكانا ومحلا واختلف صقعا ومحتلا ·· مرتبا ذلك على حروف المعجم من أول الكلمة وثانيها وثالثها ورابعها والى أي غاية بلغت ·

وفي نهاية القرن ١٣ م ، يظهر أبو الفداء ، ويضع مسودة كتابه (تقويم البلدان) في بداية القرن ١٤ م (١٣٢١ م) وقد اهتم هذا المصنف الى حد ما بدراسة الاسماء الجغرافية ·

واستمر هذا الاتجاه الجغرافي العربي في تتبع الاسماء الجغرافية في العصور الوسطى لكننا لانجد أعمالا ترقى الى حد المقارنة مع أعمال ياقوت الحموي وزملائه البكري وأبي الفداء ·

ولم ينقطع حنين الجغرافيين والباحثين العرب المعاصرين الى هذا الاتجاه العربي الاصيل في الاهتمام بالاسماء الجغرافية ، فلقد ظهرت بعض الاعمال والابحاث التي تعالج الاسماء الجغرافية في بعض الدول العربية ونخص بالذكر كتاب صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، لمحمد بن عبد الله بن بليهد (١٤) وانقاموس الجغرافي المصري ، لمحمد رمزي ، وكتاب أسماء القرى اللبنانية لأنيس فريحة ، وفي شمال غرب الجزيرة ، وفي سراة غامد وزهران ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية شمال المملكة لحمد الجاسر (١٥) والمجاز بين اليمامة والحجاز لعبد الله بن خميس (١٦)

سمات الاسماء الجغرافية العربية

أولا : تكرار الاسماء واشتراك أكثر من مكان في اسم واحد :

من أبرز سمات الاسماء الجغرافية في العالم العربي ، هو تكرار الاسماء واشتراك أكثر من مكان في اسم واحد وان كانت المواقع متباعدة ، ويعلل حمد الجاسر (١٧) هذه الظاهرة بقوله :

هناك أسماء تشترك في صفاتها من حيث التسمية ومن عادة العرب تسمية الموضع بصفة قريبة من طبيعته ، ومن ها نشأ اطلاق الاسم الواحد على مسميات مختلفة تتصف بصفة واحدة .

ولعل من أهم الاسباب الاخرى التي أدت الى تكرار الاسماء الجغرافية هي طبيعة تنقل القبائل العربية من مكان لآخر فتحمل معها الاسماء وتعيد اطلاقها مصغرة أو مضافة الى أعلام أخرى مثل (حوطة سدير) و (حوطة بني تميم) ، ولقد دفع تكرار الاسماء الجغرافية ياقوت الحموي الى وضع مصنفه (المشترك وضعا والمفترق صقعا) وعلى سبيل المثال يذكر ياقوت الحموي ٩٤ موضعا (١٨) تحت تسمية برقة ، وأحد عشر موضعا تحت اسم أبارق ، وسبعة وعشرين موضعا تحت براق ، وستة عشر موضعا تحت برقاء ، ويمكن تجميع ثلاثمائة وستين كلمة مشتقة من (برقة) وهي الارض ذات الحجارة المختلفة الالوان .

وللتمييز بين هذه الاماكن المختلفة تضاف كلمة برقة الى علم آخر مثل برقة خنزير وبرقة حارب .

وقد عدد ياقوت الحموي ستة مواضع تشترك في تسمية (احساء) (١٩)

وقد ذكر (الجوف) هو المطمئن من الارض في عشرة مواضع منها مايقع في شمال غربي أفريقيا ، ومن الاسماء الاخرى التي تعدد ذكرها (الجو) (٢٠) وهو عند العرب كل مكان اتسع من الاودية بفعل نحتها ، وقد ذكر في ستة عشر موضعا .

و (الفلج) وهو كل جدول شق من عين تجري على وجه الارض (سبعة مواضع) والنجد (٢١) وهو قفاف الارض وصلابها وماغلظ منها (أحد عشر موضعا) ، وواسط (اثنان وعشرون موضعا) .

ثانيا : مصادر اشتقاق الاسماء الجغرافية من العالم العربي :

ان المتتبع للاسماء الجغرافية في دول العالم العربي يجد أنها تتميز بالتنويع ، وأكثر هذه الاسماء منقول عما يدور في خزائن خيالهم مما يألفونه ويجاورونه ويخالطونه من ظروف بيئتهم (٢٢) ونستطيع أن نقسم الاسماء الجغرافية في العالم العربي عموما من حيث أصالتها الى قسمين :

أ ـ أسماء ذات أصل عربي مثل : الحجاز ـ الطائف ـ عدن .

ب ـ أسماء ذات أصل غير عربي منقولة عن لغات أخرى بحروفها أو مع شيء قليل من التعديل مثل : طرابلس ـ الاسكندرية ـ لبنان ـ خيبر ، (عبرية بمعنى حصن) .

ولو تتبعنا الاسماء الجغرافية العربية من حيث مصادر الاشتقاق لوجدناها كالآتي :

١ ـ اسم ذو دلالة طبوغرافية مثل : الحوطة (أرض محاطة بمناطق مرتفعة نسبيا ، (منطقة منخفضة تستريض فيها المياه) ـ الجبيل (تصغير جبل) السراة ـ الجوف (في الاصل المطمئن من الارض) ـ النجد (قفاف الارض وصلابها) الغور ـ القاع (الفضاء من الارض) .

٢ ـ اسم يدل على اتجاه مثل : المغرب ـ الوجه القبلي (من الاتجاه نحو القبلة) ـ واسط ـ الشرقية ـ الغربية .

٣ ـ اسم يدل على لون مثل : هضبة البياض ـ السودان ـ البحر الاحمر ـ البحر الابيض المتوسط ـ أبان الاحمر ـ الجبل الاخضر .

٤ ـ اشتق الاسم من نبات مثل : سدير (تصغير سدر) حريملاء (تصغير حرمل) ـ أثيل (تصغير الاثل) وادي بنواحي المدينة ·

٥ ـ ينسب الاسم الى شخص مثل : العباسية (نسبة الى العباس بن عبد المطلب) الطاهرية (نسبة الى طاهر بن الحسين) ، مضيق جبل طارق (نسبة الى طارق بن زياد) ·

٦ ـ أسماء تستند الى خصائص تكوينات البقعة المسماة بها مثل : الشحر : من شحر الارض وهو سبخ الارض ومنابت الحموضة ، والرملة (من الرمل) ، والحره ، والابارق ، والبرقة ، والفيضة ·

ثالثا : أنماط صيغ اشتقاق الاسماء الجغرافية العربية :

ان صيغ اشتقاق الاسماء الجغرافية العربية متنوعة ، كما يتضح من النماذج الآتية :

أ ـ أسماء على وزن الفعل مثل : يثرب ـ تبوك ـ ينبع نوى (من نواحي دمشق) ·

ب ـ أسماء على وزن اسم الفاعل مثل : الطائف ـ الحائر ـ حائل ـ رابغ واسط ـ عاقل ·

جـ ـ أسماء على هيئة التصغير مثل : بريدة ـ عنيزة ـ جبيل ـ الكويت (تصغير كوت ـ قلعة أو حصن) بغيديد (من قرى حلب)

د ـ أسماء على هيئة اسم المرة (فعله) : صعدة ـ غوطة ـ فلجه ـ مروة ·

هـ ـ أسماء على هيئة صيغ المبالغة مثل الدمام ـ عسير ـ الهدار ·

تحقيقات وتحليلات لبعض الاسماء الجغرافية العربية :

ان تحقيق الاسماء الجغرافية ومحاولة تفسير دلالتهامن أطرف الموضوعات التي يعالجها علم الاسماء الجغرافية Toponymy وفيما يلي نماذج من هذه الدراسة :

أولا : أسماء المسطحات المائية في العالم العربي :

١ ـ الخليج العربي :

عرف الخليج العربي باسم البحر الادنى أو المر Lowea or bitter وذلك كما ورد في النقوش الاكادية (٢٣) وفي سنة ٣٢٥ ق.م أمر الاسكندر قائد أسطوله نيارخوس (٢٤) Nearchus بأن يسير من الهند الى العراق أي على الساحل الفارسي ، فسار القائد على الساحل الايراني ولم يدرك أن هناك ساحلا آخر ، فظل الساحل العربي مجهولا لديه (٢٥) مما دعاه الى تسميته (الخليج الفارسي) وظل ذلك اسم متداولا بطريق التواتر .

وفي القرن الاول الميلادي ، وبعد أن عرف الساحل العربي للخليج أطلق الجغرافيون اسم الخليج العربي ، وسادت بينهم هذه التسمية ، ومن أبرز هؤلاء الجغرافيين الذين استخدموا اسم الخليج العربي بليني Pliny (سنة ٦٢ م ـ ١١٣ م) وهو من الشخصيات الجغرافية البارزة في العصر الروماني وتنسب اليه موسوعة تضم سبعة وثلاثين مجلدا منها ثلاثة في الجغرافيا .

٢ ـ البحر الاحمر :

سمي البحر ، وبحر الاحمر ، وسمى بحر العرب والخليج العربي في خريطة أوربية ترجع الى القرن ١٦ م وسمي بحر القلزم باسم مدينة (قلزمة Clysma (٢٦) موضع السويس ، وقال ياقوت سمي القلزم من القلزمة أي ابتلاع الشيء لالتهامه فرعون وآله .

ويسمي بالعبرانية (بحر أدوم) (٢٧) ومعناها الاحمر ، وسماه اليونانيون بحر اريتريا وتعني الاحمر ، ويقال أن تسمية الاحمر من لون الجبال المحيطة المحمرة في جهة النوبة ، أو من حيوانات حمراء منتشرة فيه ، أو من تكوينات مرجانية تلوح تحت مياهه الصافية ، والارجح وجود طحالب تعرف بالاسم العلمي · Trichodesmium erythraeum
تطفو على سطح المياه وتتلون باللون الاحمر عندما تموت ·

٣ ـ البحر المتوسط :

عرف ببحر الروم ، وأطلقت على أجزائه المختلفة أسماء مختلفة ، مثل بحر طنجة ، بحر أفريقيا (تونس) وبحر برقة ، وبحر مصر ، وبحر الشام · وقد أطلق الرومان عليه (بحرنا) حينما سيطروا على معظم سواحله ويرجع الفضل الى (سولينوس) اليوناني في اطلاق تسمية البحر المتوسط عليه في القرن الثالث الميلادي ، وذلك لانه يتوسط قارات العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوروبا ، وقد أطلق الاتراك عليه (آق دكز) أي البحر الابيض لصفاء مياهه وانتقلت هذه التسمية الى العرب عندما سيطر العثمانيون على العالم العربي وأصبح يعرف باسم البحر الابيض المتوسط ، ثم ساد اتجاه حديث نسبيا يميل الى تسمية (البحر المتوسط) تأثرا بترجمة اسمه من اللغات اللاتينية ·

ثانيا : أسماء بعض المدن العربية :

١ ـ مكة :

ذكرها بطليموس (٢٨) باسم (مكرب) مكونة من كلمة عربية جنوبية ذات قطعتين (مك) بمعنى بيت ، و (رب) بمعنى (رب) أي بيت الرب أو بيت الاله ، ومن هذه الكلمة أخذت مكة أو بكة بقلب الميم باء على عادة أهل الجنوب ، ويقول بروكلمان : انها مأخوذة من كلمة (مقرب) العربية الجنوبية ومعناها الهيكل ، ويقال أيضا انها مشتقة من كلمة (ماكورابا) وتعني كلمة ـ ماكورابا ـ حسب اللهجة الارامية الشرقية (الوادي العظيم) أو وادي الرب وعرفت مكة في المصادر المختلفة بأسماء عديدة (٢٩) ، منها أم القرى ، البلد

الامين ، أم رحم ، صلاح ، المقدسة ، القادسية ، الناسة ، والنسامة ، والباسه والحاطمة ، والرأس ، والعرش ، والكرسي ٠

٢ ـ المدينة :

للمدينة أسماء عديدة كما هي الحال بالنسبة لمكة ، وعن زيد بن أسلم أنه قال (٣٠) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، للمدينة عشرة أسماء هي المدينة وطيبة ، وطابة ، ومسكينة ، وجابرة ، ومجبورة ، ويثرب ، ويثبور والدار ، والايمان ٠

وقد ذكرها بطليموس (٣١) في جغرافيته باسم لاثريبا Iatharipp وعرفت كذلك باسم المدينة من (مدينتا) Medinta التي تعني (الحمى) في رأي بعض المستشرقين الذين يروون أن اليهود المتأثرين بالثقافة الارامية أو بعض المتهودة من بني أرم الذين نزلوا يثرب هم الذين دعوها مدينتا ومنها جاءت المدينة ٠

ويقول (صاحب الرحلة الحجازية) أن موسى حين خرج ببني اسرائيل من مصر ، أرسل فرقة من جيشه لقتال العماليق ، وان هؤلاء الجنود هم الذين أطلقوا اسم يثرب على المدينة تحريفا لها من الكلمة المصرية (أتريبيس) ، كما أن اسم طيبة الذي استعمل اسما للمدينة مأخوذ عن طيبة المصرية ٠

وللاخباريين كعادتهم آراء في الاسم اذ أنهم يقولون انما سميت (يثرب) نسبة الى يثرب من قاين بن مهلائيل بن ارم ٠

٣ ـ الرياض :

أطلق اسم الرياض في القرن الثاني عشر الهجري (٣٢) على مابقي من المحلات القديمة من مدينة حجر : معكال ومقرن والعود ٠ والرياض جمع (روضة) والروضة هي المكان المطمئن المستوى تستريض فيه ماء السماء ، فتظهر فيها الخضرة ٠ وقد ذكر ابن بليهد في كتابه صحيح الاخبار أن روضة القميعة ، كانت تشغل بعض أجزاء الرياض الحالية ، وبقربها روضة السلى ٠

٤ ـ بغداد :

اجمع المؤرخون المسلمون على أن أصل لفظ بغداد فارسي ، غير أنهم اختلفوا في تفسيرها · ومن هذه التفسيرات ماجاء في (تقويم البلدان) من أن بغداد سميت بهذا الاسم ، لأن كسرى أهدى اليه خصي من المشرق فاقطعه بغداذ ، وكان له صنم يعبده بالمشرق يقال له البغ فقال ذلك الخصي بغ داذ : يعني أعطاني الصنم ، ويقال أيضا (٣٣) ان بغ بالفارسية البستان ، وداذ اسم رجل فيصير معناها بستان الرجل ·

وقد ظهر في هذا القرن فريق من الباحثين يرجح أن يكون أصل كلمة بغداد أرامي ، وأول من قال بهذا يوسف غيني (٣٤) الذي ادعى أن اسم بغداد منحوت من كلمتين من (ب) المأخوذة من كلمة بيت عند الآراميين ، ومن (كدادا) بمعنى غنم أو ضأن ، فيكون مدلول التسمية (بكدادا) مدينة أو دار الغنم والضأن ·

٥ ـ بيروت :

رجح بعض الكتاب اشتقاق اسم مدينة (بيروت) من (البئر) (٣٥) والتي تجمع في اللغة العبرية على (بئروت) أي الأبار ، تبعا لكثرة الأبار والعيون التي كانت منتشرة في مدينة بيروت القديمة ، ثم خففت الهمزة فصارت (بيروت)

ويرى فريق آخر أن التسمية نسبة الى ابنة الامبراطور أغسطس الروماني الذي أنعم على هذه المدينة بامتيازات المستعمرات الرومانية ·

٦ ـ تونس :

وكانت تسمى في قديم الزمان (ترشيش) (٣٦) فلما أحدث فيها المسلمون البنيان واستحدثوا البساتين سميت (تونس) من الانس ·

٧ ـ حلب :

روى أن ابراهيم عليه السلام كان يذهب الى تل بالقرب من مكان هذه المدينة ، ويحبس فيه بعض الرعاة بما معهم من الاغنام والماء والبقر ، وكان الضعفاء اذا سمعوا بقدومه أتوه من كل وجه من بلاد الشمال فيجتمعون مع من اتبعه في الارض المقدسة لينالوا من بره ، فكان يأمر الرعاة بحلب مامعهم ليتصدق به على الضعفاء والمساكين ، وكان ولده ينادي الضعفاء : ابراهيم حلب ، ابراهيم حلب (٣٧) فغلبت هذه اللفظة لطول الزمان على التل كما غلبت غيرها من الاسماء على ماهو مسمى به فصار علما بالغلبة ·

٨ ـ دمشق :

اختلفت الأراء في تسمية دمشق ، فيقول الكلبي (٣٨) : دمشق بناها دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وقيل أيضا : بناها الملك دامشقيوس ، وقال البكري (٣٩) سميت بدماشق بن نمرود بن كنعان فهو الذي بناها ، وكان قد آمن بابراهيم وصار معه وكان أبوه نمرود دفعه اليه لما رأى الآيات وقال الاصمعي : أخذت دمشق من دمشقوها أي أسرعوها ، من قولهم ناقة دمشق أي سريعة ·

٩ ـ صنعاء :

عرفت صنعاء قديما باسم (أزال) فلما وافتها الحبشة ورأوها مدينة مبنية بالحجارة ، فقالوا هذه صنعة ومعنى هذا اللفظ حصينة فسميت صنعاء بذلك (٤٠)

١٠ ـ القاهرة :

سميت القاهرة نسبة الى المريخ ، الذي يسمى عند المنجمين القاهر (٤١)

وقد ذكر (٤٢) أن جوهرا ، لما قصد اقامة السور وبناء القاهرة ، جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الاساس وطالعا لرمي حجارته ، فجعلوا بدائر السور قوائم من خشب ، وبين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس ، وأفهموا البنائين ساعة تحريك الاجراس أن يرموا مافي أيديهم من اللبن والحجارة ، ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع ، فاتفق وقوف غراب على خشبة من تلك الخشب ، فتحركت الاجراس ، وظن الموكلون بالبناء أن المنجمين حركوها فألقوا مابأيديهم من الطين والحجارة في الاساس فصاح المنجمون : لا .. لا ، القاهر في الطالع ومضى ذلك وفاتهم ماقصدوه ، وكان غرض جوهر أن يختار المنجمون طالعا للبناء لايخرج البلد عن طاعة نسلهم أبدا .

وهكذا اشترك غراب في تحديد اسم مدينة القاهرة ! وتأسست مدينة القاهرة يوم ٦ يوليو (تموز) سنة ٩٦٩ م ، ووضع أول حجر في بناء الجامع الازهر في ٤ أبريل (نيسان) سنة ٩٧٠ م

١١ ـ مقديشو :

يقول الشريف عيدروس المؤرخ الصومالي المشهور ، ان تسمية عاصمة الصومال مقديشو منحوته من لفظين هما **مقعد** و **شاه** أي مكان الحاكم ، لكن كاتب هذا البحث يرجح بأن تكون التسمية منحوته من مقعد و شيوخ وذلك لأن سلاطين الصومال قديما كانوا يلقبون بالشيوخ ، كما ذكر ابن بطوطة وعادتهم أن يقولوا للسلطان الشيخ (٤٣) وعلى ذلك يكون أصل التسمية مقعد شيوخ) أي مكان السلاطين .

١٢ ـ نواكشوط :

ميناء موريتانيا وعاصمتها ، هناك رأيان في تفسير هذا الاسم ، أحدهما يرى أنها (نواق شط) أي شط النياق والابل ، ورأي آخر يرى بأن تفسير هذا الاسم هو (شط الانواء) (نوا + ك + شوط) ويرى أن الكاف رابطة وأداة وصل بين اللفظين ، لكن الرأي الاول (نواق شط) هو الارجح .

اسماء جغرافية اخرى :

١ ـ الربع الخالي أم الربع الخالي ؟

لم تظهر تسمية الربع الخالي الا حديثا ، اذ كانت هذه المنطقة تعرف باسم (مغازة صيهد) ، وعرفت أيضا (بالرملة) ، و (رملة يبرين) نسبة الى واحد يبرين ·

وحينما نقارن بين التعبيرين المختلفين اللذين يستخدمان الأن ، وهما الربع القالى ، والربع الخالي ، نرجح (الربع الخالي) لأن تسمية الربع سائدة بين البدو ، وقد وردت تسمية الربع الخالي في كتاب يرجع الى سنة ١٨٧٢ م أي أكثر من مائة عام ، وهو Arabia before before Muhammad تاليف دلاسي أوليري Delacy O'Leary وجات ترجمته "Ruba el-khali" abope of emptiness (٤٤)

أما تسمية الربع التي تستند الى أن مساحة هذه المنطقة تقترب من ربع مساحة الجزيرة فانها تثير تساؤلا وهو من أين للبدو أن يعرفوا مساحة هذه أو تلك حتى يطلقوا تعبير (الربع الخالي) !

٢ ـ المناخ أم المناخ :

ساد بين الجغرافيين حينا من الدهر أن المناخ بفتح الميم هو مبرك الابل أما (المناخ) بضم الميم فهو حالة الجو من حرارة ورياح وأمطار ، وهذا يتنافي مع الحقيقة ومع أصل اشتقاق الكلمة ، اذ أن المناخ بضم الميم هو مبرك الابل باجماع المعاجم اللغوية العربية (٤٥) وهو اسم للمكان الذي تناخ فيه الابل ·

ويرى كاتب هذا البحث أن (المناخ) بضم الميم قد تطور معناه وأصبح يدل على المكان أو المنزل الذي ينزل فيه البدوي ولما كانت الرطوبة والمطر والبرودة هي أساس المفاضلة بين أماكن الاناخة ، فان البدوي كان يقول (مناخنا مطير) أو (مناخنا رطب) ، اي أن مكان الاقامة مطير أو رطب

حسب ماورد في الامثلة (٤٦) ، ومن هنا عممت الكلمة وأصبحت تشير الى حالة الجو بصفة خاصة ، وانطبع ذلك أيضا في معاجم اللغة حيث قيل عن (المناخ) كل مكان تقيم فيه ينفعك أو يؤذيك هواءه فتأمل كيف اهتمت المعاجم بالهواء ·

خلاصة :

ان علم الاسماء الجغرافية Toponymy هو أحد فروع الفلسفة الجغرافية Geosophy ويهتم الجغرافيون بدراسة الاسماء الجغرافية لأنها تقود الى تصحيح نطق أسماء الاعلام الجغرافية ، وتتيح الاستفادة من الدلالات الجغرافية لهذه الاسماء ، كما أن دراسة الاسماء الجغرافية تعد وسيلة هامة من وسائل الدراسة في الجغرافية التاريخية والجغرافيا الثقافية ، ويمكن أن تسهم دراسة الاسماء الجغرافية في العالم العربي في مجال توحيد كتابة الاعلام الجغرافية ·

وللعرب في مجال دراسة الاسماء الجغرافية ، باع طويل ، اذ أن هذا الاتجاه بدأه العرب منذ القرن التاسع الميلادي وظهر أول معجم جغرافي عربي قبل أول معجم جغرافي أوربي بنحو خمسمائة سنة ·

والاتجاه العربي الحديث نحو دراسة الاسماء الجغرافية ليس بدعا وانما هو دعوة لاتجاه عربي رائد ،واحياء لفرع جغرافي عربي أصيل كدنا أن ننساه بعد أن بهرتنا التطورات الحديثة المتلاحقة في مجال الدراسات الجغرافية ، ومن الجدير بالذكر أن دراسة الاسماء الجغرافية العربية مجال رحب واسع بحكم اتساع العالم العربي وتعدد أقطاره ، كما أن فصاحة اللغة ودقتها في التعبير الى جانب تعدد الهجرات العربية ، وتنوع المؤثرات الثقافية كل ذلك يجعل هذا الموضوع مجالا خصبا وطريفا للدراسة ·

الهـوامش

(١) عبد الوهاب الصابوني ، اللباب في النحو ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣٨٠ ، وهذا هو راى الكوفيين .

(٢) القلقشندي ، أبي العباس أحمد بن علي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ج ٥ ، طبعة المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ، ص ٤٢٣

(٣) يطلق على الاسماء الجغرافية كذلك Onomaologyt

(٤) Encyclop Brit. Vol. 12. p. 818.

(٥) ياقوت بن عبد الله الحموي ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، طبعة غوتنغن ، سنة ١٨٤٦ ، ص ٣٤٤ .

(٦) كراتشكوفسكي ، ح ١ ، المرجع السابق ، ص ١٢٧

(٧) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ج ١ ، ص ١٢٦

(٨) ابن النديم ، الفهرست ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(٩) توفي سنة ٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ م

(١٠) كراتشكوفسكي ، ج ١ ، المرجع السابق ، ص ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨

(١١) ولد ياقوت سنة ٥٧٤ هـ ـ ١١٧٩ م

(١٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، المقدمة ، ص ٧ .

(١٣) تقع طبعة بيروت سنة ١٩٥٧ م في أكثر من ٢٤٠٠ صفحة ، من القطع الكبير .

* اسماعيل بن علي بن محمود بن شاهنشاه بن أيوب بن عماد الدين الايوبي ، ولد سنة ٦٧٢ هـ ـ ١٢٧٣ م بمدينة دمشق .

(١٤) محمد عبد الله بن بليهد ، صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الاثار ، مجلدان وخمسة اجزاء ، الطبعة الاولى سنة ١٩٥٢ م

(١٥) حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، منشورات دار اليمامة ، سنة ١٩٧٠ م ، في سراة غامد وزهران ، منشورات دار اليمامة ، سنة ١٩٧١ ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية شمال المملكة ، منشورات دار اليمامة سنة ١٣٩٧ ه ، ١٩٧٧ م

(١٦) عبد الله بن خميس ، المجاز بين ليمامة والحجاز ، الرياض سنة ١٣٩٠ ه سنة ١٩٧٠ م

(١٧) حمد الجاسر ، في شمال شبه الجزيرة العربية ، منشورات دار اليمامة ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٧ .

(١٨) ياقوت الحموي ، كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعا ، تحقيق فستنفلد ، طبعة غوتنغن ، سنة ١٨٤٦ ، ص ٤٧ ، ومواضع اخرى .

(١٩) الاحساء جمع حسا ، وهو الماء الجوفي السطحي الذي تحفر عنه العرب فتستخرجه .

(٢٠) ياقوت ، المشترك وضعا ، المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٢١) ياقوت ، المرجع السابق ، ص ١١٣

(٢٢) القلقشندي ، صبح الاعشي ، ج ٥ ، ص ٤٢٤

(٢٣) قدري قلعجي ، الخليج العربي ، دار الكاتب العربي ، بيروت سنة ١٩٧٥ م ، ص ٠٧

(٢٤) جورج فضلو حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، بدون تاريخ ، ص ٤٢ .
قلعجي ، ص ٨٠ .

(٢٥) J. J. Berrely Lee Golfe Persique. p. 190.

(٢٦) جورج فضلو حوراني ، المرجع السابق ، ص ٨٦

(٢٧) فؤاد افرام البستاني ، دائرة المعارف ، بيروت سنة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٣١٥

(٢٨) أحمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي القاهرة سنة ١٩٦٧ ، ص ٩٨

(٢٩) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك طبعة مدينة باريس المحروسة ، بالمطبعة الجمهورية ، سنة ١٨٩٣ م ص ١١

(٣٠) ابن رستة ، أبي على أحمد بن عمر ، الاعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، ليدن سنة ١٨٩١ ، ص ٧٨

(٣١) أحمد ابراهيم الشريف ، المرجع السابق ، ص ٩٢٠

(٣٢) حمد الجاسر ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ سنة ١٩٦٦ ، ص ٦٤

(٣٣) القلقشندي ، صبح الاعشي ، ص ٣٣

(٣٤) طاهر مظفر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، منشورات المكتبة الاهلية في بغداد سنة ١٩٦٧ م ص ص ١٢ ـ ١٤

(٣٥) حسن سيد أحمد أبو العينين ، دراسات في جغرافية لبنان ، بيروت ، ١٩٦٨ م ص ١٧

(٣٦) نقولا زيادة ، مدن عربية ، منشورات دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٥ م ص ٧٣

(٣٧) نقولا زيادة ، المرجع السابق ، نقلا عن ابن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ١٩٠٩ ، ص ص ٢٦ ـ ٢٧

(٣٨) صلاح الدين المنجد ، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين ، بيروت ، ١٩٦٧ م ص ٢٣

(٣٩) البكري ، معجم مااستعجم ، ج ٢ ، ص ٥٥٦

(٤٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣٠ ، ص ٤٣٦

(٤١) جاستون فييت ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ترجمة مصطفى عبادي ، ص ٣٦

(٤٢) النجوم الزاهرة ، ٤ : ٤١

(٤٣) رحلة ابن بطوطة ، طبعة دار بيروت ، ١٣٨٤ هـ ص ٢٥٤

(٤٤) O'Lear Arabia before Muhammad, P. 6.

(٤٥) الزبيدي ، تاج العروس ، ص ٢٨٤ ، الشيخ أحمد رضا ، معجم متمم اللغة ، ص ٥٧٠ ، ٥٧٠ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٦٠

(٤٦) محمد محمود محمدين ، بصمات البيئة الجغرافية في لغتنا العربية ، الدارة ، ربيع الاول ١٣٩٦ هـ ص ١٢٥